

دور النشر في الإفادة من مصادر المعلومات في العصر العباسي

إعداد:

ناصر عبد الرحمن

مدرس مساعد / قسم المكتبات والوثائق والمعلومات
كلية الآداب - جامعة القاهرة

تهدية:

كالكتب، ومقالات الدوريات، وبحوث المؤتمرات، وبراءات الاختراع، والرسائل الجامعية وغيرها، كما تشمل أيضا أشكال الإنتاج الفكري الأخرى المسموعة أو المرئية. أما من يسلك السبيل الآخر لتبادل المعلومات والحصول عليها؛ فإنه يعتمد على المصادر غير الوثائقية، ويقصد بها تلك المصادر التي لايسهل التحكم فيها، أو السيطرة عليها، أو تداولها، أو استنساخها، وهي تلك المصادر التي لا تسفر عن أى شكل من أشكال التسجيل المقروء أو المسموع أو المرئي^(٥).

وإذا كانت المعلومات تنتقل في إطار الاتصال العلمي من مصادرها أو مؤلفيها، إلى المتلقين أو المستفيدين منها عن طريق هذه القنوات؛ فإن المستفيدين هم مجموعة من الأفراد الذين يحرصون على الإطلاع على نتائج بحوث السابقين المشاركين لهم في مجالات اهتماماتهم واستيعابها. ومن بين هؤلاء المستفيدين من يضطلع بمهام إنتاج المعلومات؛ إذ ليس كل المستفيدين من المعلومات منتجين لها. ويعنى ذلك أن هناك من بين هؤلاء المستفيدين من يحرص على تسجيل خبراته ومنتجات

يسلك المشتغلون بالبحث العلمي في اتصالاتهم العلمية التي يهدفون من خلالها الحصول على المعلومات، سبيلين هما الاتصال الوثائقي، والاتصال غير الوثائقي. ويطلق المتخصصون المهتمون^(١)،^(٢) بالاتصال العلمي على هذين السبيلين اصطلاح القنوات الرسمية: Formal channels للسبيل الأول، واصطلاح القنوات غير الرسمية: Informal channels للسبيل الثاني. والفرق الرئيسى بين هذين السبيلين أو بين هذه القنوات التي يتم من خلالها الاتصال العلمي وتبادل المعلومات بين المشتغلين بالبحث العلمي، هو أن من يسلك السبيل الأول يعتمد في الأساس على مصادر المعلومات الوثائقية، وهي تلك الأوعية التي تصب فيها نتائج ملاحظات الباحثين وتصوراتهم للعالم المحيط بنا بكل جوانبه، وخبراتهم في التعامل مع هذه الجوانب الطبيعية والبشرية^(٣). ويتسع المعنى المقصود بهذه الأوعية ليشمل جميع أنواع الوثائق التي تشكل الذاكرة الخارجية اتى تخترن حصيلة المعرفة البشرية^(٤)، وتشمل هذه الفئة من مصادر المعلومات الإنتاج الفكرى المدون

عن استيعابه للمعلومات التي انتقلت إليه عن طريق هذه القنوات. إلا أن تسجيل هذه الخبرات وتنظيمها في حد ذاته لا يعد اتصالاً علمياً؛ فلا أثر لهذه الخبرات عند مجتمع المستفيدين إذا لم تتوافر هذه الخبرات في شكل مناسب يمكن بثه ونشره على نطاق واسع^(٦)، وحتى يتسنى لهؤلاء المستفيدين من هذه الخبرات التعرف عليها.

وإذا كان العصر الحاضر يوفر المعلومات في أوعية مختلفة الأشكال كالكتب، والدوريات، والمواد المسموعة والمرئية وغيرها؛ فإن الكتاب المخطوط كان إلى ما قبل ظهور الطباعة الوعاء الوحيد الذي حمل أمانة نقل المعلومات من مؤلفيها إلى المستفيدين منها.

وفي عصر من أزهى عصور الحضارة لعبت الكتب دوراً بارزاً في حمل هذه الأمانة، وقد توافر لها من مقومات النشر ما مكنتها من تأدية هذه الأمانة على خير وجه. وهي مقومات ضارعت مقومات العصر الحاضر مع اختلاف التقنيات، واختلاف أساليب الأداء. فلقد أدرك المسلمون الأوائل أهمية النشر في توصيل العلم إلى أهله، ونقرأ ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم: ألا أخبركم عن أجود الأجواد. قالوا: نعم يا رسول الله. قال: الله أجود الأجواد، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدى رجل علم علماً، فنشر علمه^(٧). وقال صلى الله عليه وسلم: ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر^(٨). ولم يكن أمام ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنهم، حين أراد جمع المسلمين في أمصار الدولة الإسلامية على قراءة واحدة للقرآن الكريم، سوى نشر نسخ من المصحف في تلك الأمصار^(٩).

وقبل نهاية القرن الأول الهجري كتب عمر بن العزيز ثامن خلفاء بني أمية (٩٩ - ١٠١هـ) إلى

أبي بكر بن حزم^(١٠) يقول: انظر ما كان من حديث النبي صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإنني خفت دروس العلم - أي اندثار حديث النبي صلى الله عليه وسلم بسبب عدم تدوينه حتى ذلك الوقت - وذهاب العلماء، ولاتقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم. ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم؛ فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا^(١١). وفيما جعل النبي صلى الله عليه وسلم من أن نشر العلم من الجود والتصدق ومالهما من أجر، وفي الطريقة التي جمع بها عثمان بن عفان رضي الله عنه المسلمين على قراءة واحدة، وفي قول عمر بن العزيز: إن العلم لا يهلك حتى يكون سرا، ما يدلنا على أهمية نشر العلم في تلك الفترة المبكرة من عمر الحضارة العربية الإسلامية، وما حفز من بعدهم إلى الإشارة لأهمية النشر والحث عليه. فتذكر كتب الأدب والبلاغة عدة من الأقوال المأثورة عن السلف تدلنا على قيمة نشر العلم في زمنهم. ونسوق من هذه الأقوال قول الجاحظ: العلم يقوم على خمس خصال هي: الصمت، والاستماع، والحفظ، والعمل به، ونشره^(١٢). وقول الخطيب البغدادي فيما يرويه عن بعض الحكماء: لن يصاب العلم بمثل بذله، ولن تكافأ النعمة فيه نشره^(١٣).

ونناقش فيما يلي الدور الذي لعبه النشر في توفير مصادر المعلومات ممثلة في الكتب، وفي الإفادة منها.

دور النشر:

يقوم النشر في العصر الحاضر على ثلاثة عناصر رئيسية، يأتي المؤلف في مقدمتها إذ هو صاحب الأفكار أو المعلومات التي صاغها بخطه في شكل كتاب أو مقال. وثانيها الطابع الذي يقوم بتحويل مخطوطة المؤلف إلى نسخ عديدة مطبوعة. وثالثها

بائع الكتب الذى يتولى تسويق هذه النسخ المطبوعة. ويضاف إلى هذه العناصر الثلاثة عنصر وسيط هو الناشر وهو الذى يقوم بالربط والتنسيق بين أطراف العناصر الثلاثة؛ بمعنى أنه يقوم بالحصول على مخطوطة الكتاب من مؤلفه، ثم يدفعها إلى الطابع، ثم يحصل من الطابع على نسخ الكتاب، فيدفعها إلى بائع الكتب الذى يتولى بيعها للمستفيدين. وفى بعض الأحيان يقوم المؤلف أو الطابع أو بائع الكتب بالدور الذى يقوم به الناشر بالإضافة إلى الدور الذى يقوم به أى منهم فى النشر.

ومهما يكن من أمر هذه العناصر التى يقوم عليها النشر فى العصر الحاضر؛ فإن ما يهمنا هو التعرف على وجود هذه العناصر فى الفترة التى ندرسها، والتعرف على الدور الذى لعبه كل عنصر منها فى نشر الكتاب بهدف توصيله إلى المستفيدين المحتملين.

أولاً: المؤلفون:

لاشك أن جلّ المؤلفين يحرصون على نقل نتائج بحوثهم إلى المشاركين لهم فى الأهتمام بمجال موضوعى معين؛ فلا قيمة لهذه النتائج إذا احتفظ بها صاحبها لنفسه، فالعلم لا يقوم فى نفس كل عالم، بل يكون بالتبادل والتفاهم بين العلماء^(١٤)، على حد تعبير أحد مؤرخى العلوم وهو ج. د. برنال، J.D. Bernal. والتبادل والتفاهم اللذان أشار إليهما إليها، برنال يقومان على سبل الاتصال العلمى الرسمية، وغير الرسمية التى سبقت الإشارة إليها، ولا يتم تبادل المعلومات والتفاهم بين العلماء بالمعنى الذى أشار إليه برنال إلا من خلال هذه السبل، كما لا يتسنى لعالم أو باحث نقل نتائج بحوثه أو تبادلها دون نشرها سالكا قنوات الاتصال العلمى المتعارف عليها فى أوساط المشتغلين بالبحث

العلمى، وراغباً فى توصيل هذه النتائج إلى المستفيدين المحتملين بهدف إشراكه له بها بغرض استيعابها والانتفاع بها. وقد أبان هذا الهدف أحد المؤلفين الذين عاشوا فى أوائل القرن الثالث الهجرى، وهو أبو عمر صالح بن إسحق الجرمى المتوفى سنة ٢٢٥هـ، وكان فقيهاً من أهل البصرة عالماً بالنحو واللغة، فكان كلما صنف باباً من كتابه المختصر فى النحو، صلى ركعتين ودعا أن ينتفع به^(١٥).

ولاشك أن أكثر المؤلفين فى ذلك الزمن كانوا يرجون لكتبهم الانشار والرواج والانتفاع بمعلوماتهم؛ فكان أبو الحسن على بن بسام الشترينى (ت ٥٤٢هـ) يرجو لكتابه الذخيرة أن يجوب البلدان، وأن يحمله رفاقه فى أسفارهم، فدفعه إلى النساخ لما رأى شره أهل زمانه إلى الانتفاع به والاقْتباس من فوائده^(١٦). وقد رأى ياقوت الحموى ما رآه ابن بسام من قبل فدفع كتابه معجم الأدياء إلى المستفيدين لينسخوه رغم ما وجده فى نفسه من شح بكتابه على هؤلاء المستفيدين^(١٧).

وإذا كان هذا حال أكثر المؤلفين؛ فإننا نجد بعض المؤلفين يخلون بكتبهم بعد تأليفها، يحتفظون بها، ولا يدفعونها إلى النساخ حتى لا تعم الإفادة منها رغم أهميتها لدى مجتمع المستفيدين، وفى خير أبى منصور الأزهرى مع كتاب الجيم لشمر الهروى ما يؤكد ذلك؛ فيذكر الأنبارى فى نزهة الألباء أن أبا عمرو شمر بن حمدون الهروى المتوفى سنة ٢٥٥هـ قد ألف كتاباً كبيراً فى اللغة، ورتبه على حروف المعجم، وبدأه بحرف الجيم، ولما أكمل الكتاب بخل به فلم يسمح لأحد من أصحابه بنسخه، فضع الكتاب ولم يبق منه إلا صفحات وصلت إلى أبى منصور الأزهرى اللغوى صاحب

كتاب تهذيب اللغة فقال: تصفحت من كتاب شمر تفاريق أجزاء، فوجدتها على غاية من الكمال، والله عز وجل يغفر لنا ولأبى عمر - يعنى شمر - زلله؛ فإن الضن بالعلم غير محمود ولا مبارك فيه^(١٩). وفى ذلك المعنى قال سفيان الثوري: من بخل بعلمه ابتلى بثلاث؛ إما يسناه ولا يحفظ، وإما أن يموت - أى ذلك العلم وإما أن تذهب كتبه^(٢٠)، فلا يستفاد منها.

ويدهى أن كتاب الجيم وغيره من الكتب التى يبخل أصحابها بدفعها إلى النساخ لا ينتفع بها بخلاف الكتب التى ذاعت شهرتها وتداولتها أيدى الناس وأيدى الأيام. ولا يخلو تراثنا من إشارات إلى مثل هذه الكتب التى ذاعت شهرتها مخلدة أسماء مؤلفيها على الألسنة؛ فيعرف ياقوت الحموى كتاب الصحاح للجوهري بقوله: وهذا الكتاب هو الذى بأيدي الناس اليوم، وعليه اعتمادهم، فهو أحسن من كتاب الجمهرة لابن دريد، وأوقع من كتاب تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهري. كما يصف ياقوت كتاب شرح الجرمي لابراهيم بن على الفارسي النحوي بأنه كتاب معروف متداول بأيدي الناس^(٢١). ومن مثل هذه الكتب كتاب المختصر الصغير فى الفقه الشافعي ألفه إسماعيل بن إبراهيم المزني صاحب الإمام الشافعي، وهو كتاب عرفه ابن النديم فى الفهرست بقوله: وهو الكتاب الذى بيد الناس، وعليه يعول أصحاب الشافعي، وله يقرءون، وإياه يشرحون^(٢٢).

ويدو لنا أن مثل هذه الكتب كانت تلقى من الشهرة والانتشار مستندة إلى شهرة مؤلفيها أنفسهم، وإلى مكانتهم فى المجال الذى يؤلفون فيه، أو لاستيفائها الموضوع الذى تناوله؛ فيذكر ياقوت الحموى أن على بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني قد أحسن وأبدع وأعرب عن تبحره فى

الأدب وعلم العربية... وقوة النقد فى كتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه فى شعره. وقد كان ذلك سببا فى انتشار هذا الكتاب الذى عبر عنه ياقوت الحموى بقوله: فسار الكتاب مسير الرياح وطار فى البلاد بغير جناح^(٢٣). وكما وصف ياقوت كتاب الوساطة وانتقاره، وصف لنا مؤلفا من ذوى الإنتاج الفكرى الغزير، مشيرا إلى مكانته بين المؤرخين، واصفا كتبه وانتشارها بقوله: ومحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) ممن طبق ذكره الأرض، شرقها وغربها، ولم يخف على أحد عرف الأخبار أمره... وسارت الركبان بكتبه فى فنون العلم والمغازى والسير والطبقات وأخبار النبى صلى الله عليه وسلم^(٢٤).

ولم يقتصر دور المؤلفين فى النشر على إتاحة مؤلفاتهم ونتائج بحوثهم للمستفيدين والرغبة فى انتشارها والإفادة منها، بل امتد دورهم - باعتبارهم فئة من المستفيدين - إلى المساهمة فى التعريف بكتب غيرهم من المؤلفين المشاركين لهم فى اهتماماتهم الموضوعية وانتشارها. فيذكر ياقوت الحموى أن جودى بن عثمان النحوي المتوفى سنة ١٩٨هـ رحل إلى المشرق ولقى الكسائي والفرء وغيرهما من علماء اللغة، وكان أول من أدخل كتب الكسائي إلى المغرب العربى^(٢٥). ويذكر ابن أبى أصيبعة أن أبا الحكم عمرو بن أحمد بن على الكرماني^(٢٦) (ت ٤٥٨هـ) رحل إلى ديار المشرق، وعنى بطلب الهندسة، ولما رجع إلى الأندلس جلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا، ولا نعلم - والكلام لابن أبى أصيبعة - أحدا أدخل هذا، الرسائل الأندلس قبل الكرماني^(٢٧).

ثانيا: الوراقة:

لسنا فى حاجة للإشارة إلى أنه لا بد من توافر الكتاب فى نسخ متعددة حتى يتسنى للمستفيدين

الحصول على نسخ منه، وإلا كانت الإفادة من هذا الكتاب محدودة. فإن إتاحة المؤلف كتابه للمستفيدين، ورغبته في انتشاره لا يكفیان ما لم تتوافر مقومات نسخه في نسخ متعددة حتى تعم الإفادة منه.

وإذا كانت المطابع في العصر الحاضر تقوم بمهمة توفير الكتاب الواحد في نسخ متعددة؛ فإن الوراقة في عصر ما قبل الطباعة كانت تضطلع بهذه المهمة. والوراقة كما عرفها ابن خلدون في مقدمته^(٢٨) هي انتساخ^(٢٩) الكتب، وتصحيحها وتجليدها، وسائر الأمور المتعلقة بالكتاب. وكان المشتغلون بالوراقة يعرفون بالوراقين.

ولقد اتخذ بعض المؤلفين وراقين لكتبهم وكتب غيرهم، كما اشتغل بعض المؤلفين بالوراقة. ونستطيع من خلال تقسيمنا الوراقين إلى فئات أن نتعرف على دورهم ودور الوراقة في توفير الكتب في نسخ متعددة وإتاحتها للمستفيدين. ويمكن أن نقسم هؤلاء الوراقين إلى ثلاث فئات حدثنا عنها كتب التراث:

أ - الوراقون المحترفون:

هم جماعة من الناس اتخذوا من الوراقة حرفة يرتزقون منها، عن طريق بيع نسخ الكتب التي يكتبونها بأيديهم. ومن هؤلاء الحسن بن شهاب العكبري (ت ٤٢٨هـ) الذي يقول عن نفسه: كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية؛ فكنت اشترى كاغداً بخمسة دراهم، فأكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليال، وأبيعه بمئتي درهم، وأقله بمئة وخمسين درهماً، وكذلك كتب الأدب المطلوبة. وكان أبو القاسم بن بنت منيع من هؤلاء الوراقين، فيروى أنه ذهب يوماً إلى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي يسأله الجزء الأول من كتاب المغازي الذي ألقه ابن اسحق المؤرخ

لينسخه، فأعطاه له، فطاف أبو القاسم به، وبدأ بأبي عبد الله بن مغلث وأراه الكتاب، فدفع إليه عشرين ديناراً على أن يكتب له أبو القاسم نسخة، ثم طاف بعده بقية يومه، فلم يزل يأخذ من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير وأكثر وأقل إلى أن حصل معه في ذلك اليوم مئتا دينار، فكتب نسخاً لأصحابها بشيء يسير من ذلك واستفضل الباقي^(٣٠). وكان محمد بن عبد الله بن موسى (ت ٣١٩هـ) مليح الخط، صحيح النقل يورق بالأجرة^(٣١). وإذن فإن من الوراقين المحترفين من يحرص على نسخ الكتب الرائجة كابن شهاب العكبري، ومنهم من ينسخ الكتب حسب طلب المستفيدين كابن بنت منيع.

ب - وراقو المؤلفين:

وهم الوراقون الذين كانوا ينسخون الكتب لمؤلفين بعينهم، وكانوا يعملون تحت أيديهم، حتى أن بعض هؤلاء الوراقين عرفوا بأسماء المؤلفين الذي يورقون كتبهم: ومن وراقى هذه الفئة زكريا بن يحيى الذي اتخذ الجاحظ وراقاً حتى أنه عرف باسم وراق الجاحظ^(٣٢). ومنهم حسنيوه، ونفطويه، وسلمون الذين كانوا يورقون للكندى^(٣٣). واسماعيل بن أحمد الزجاجي، وإبراهيم بن محمد الشاشي اللذان كانا يورقان للمبرد^(٣٤). وأبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحوال الذي كان وراق حنين بن إسحق في ترجماته لكتب علوم الأوائل^(٣٥). كما اتخذ الواقدي كاتباً له هو محمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبرى، وقد عرف ابن سعد فيما بعد باسم كاتب الواقدي^(٣٦). وكان ثابت بن عبد العزيز اللغوي يورق لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)^(٣٧).

ويبدو لنا أن استئثار بعض المؤلفين بوراقين معينين، يرجع إلى أن هؤلاء المؤلفين كانوا غزيري التأليف، غزيري الاطلاع كالجاحظ، والكندى، والمبرد، والواقدي، وأبي عبيد القاسم بن سلام، ومن ثم

كانوا في حاجة إلى من ينسخ كتبهم، والكتب التي يحتاجون إلى الاطلاع عليها.

وكان بعض المؤلفين لا يكتبون بوراق واحد لنسخ أحد كتبهم، فكان يعقوب بن شيبة السدوسي^(٣٨) (ت ٢٦٢هـ) يعد في منزله أربعين لحافاً لمن كان يبيت عنده من الوراقين لتبيض كتابه المسند ونقله^(٣٩).

ج - المؤلفون الوراقون:

وهم جماعة من المؤلفين آثروا أن ينسخوا كتبهم، والكتب التي يجدون في أنفسهم حاجة إليها. وقد جمع هؤلاء المؤلفون بين تصنيف الكتب وحرقة الوراقة والنسخ. فكان لأبي القاسم الحارث بن علي وهو من وفيات القرن الرابع الهجري تأليف محكم وكتب جيدة مشهورة، ذكر منها ابن النديم تسعة كتب، وكان أبو القاسم المذكور وراقاً يبيع الكتب ويورق للناس^(٤٠). وكان الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ) ممن اشتغل بالتصنيف والنسخ؛ فكان يكتب في كل سنة كتاب إقليدس في الهندسة، وكتاب المجسطى لبطليموس ويبيعهما ويقفات من ذلك الثمن، ولم تزل هذه حاله إلى أن توفي^(٤١). وكان السري بن أحمد الرقاد (ت ٣٦٠هـ) شاعراً وأديباً، وكان يورق شعره ويبيعه، ثم ورّق لغيره بالأجرة^(٤٢). ويذكر ابن أبي أصيبعة أن ما وجد من خط موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المعروف بابن اللباد (ت ٦٢٩هـ) أشياء كثيرة جداً، بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة، وكتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء^(٤٣). وكان لبعض المؤلفين صبر على النسخ يثير العجب، فكان ابن النديم يتعجب من كثرة ما نسخ يحيى بن عدي. فقال له ابن عدي: من أي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري وقد نسخت بخطي نسختين من

تفسير القرآن للطبري، وحملتها إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى. ولعهدي بنفسى وأنا أكتب في اليوم والليلة مئة ورقة وأقل^(٤٤). ولكي تقف على صبر يحيى بن عدي على النسخ نذكر أن تفسير الطبري كان يقع في ثلاثة آلاف ورقة وقت تأليفه^(٤٥).

وكان إلى جانب هذه الفئات الثلاث من الوراقين فئة رابعة تضم الوراقين العاملين في المكتبات الكبرى، وكانت مهمتهم توفير نسخ من الكتب تزود بها هذه المكتبات لخدمة أصحابها ومن يفدون عليهم من العلماء والأدباء والمتكلمين وغيرهم. فكان إعلان الشعبي ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون^(٤٦). وكان صفى الدين عبد المؤمن ناسخاً بمكتبة الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠ - ٦٥٦هـ)^(٤٧). ومنهم جماعة الوراقين الذين كانوا ينسخون بمكتبة الراضى بالله (٣٢٢ - ٣٢٩هـ)^(٤٨).

هذه هي فئات الوراقين الذين قاموا بالدور الذي تقوم به المطابع في العصر الحاضر وبالطبع فإننا لا نستطيع أن نقطع بأن الوراقين الذين ينتمون إلى إحدى هذه الفئات كانوا يعملون في حدود هذه الفئة فحسب، فقد مر بنا أنه من الممكن أن يتكسب المؤلفون من الوراقة كالوراقين المحترفين غير أن لهم مؤلفات، كما أنه من الممكن أن ينسخ وراقو المؤلفين كتباً لأشخاص آخرين وهكذا.

بقي أن نشير إلى أن هنا صفات وجب أن يتحلى بها الوراقون، وهي حسن الخط، ودقة الضبط، وصحة النقل. وكانت هذه الصفات سبباً في إقبال الناس على اقتناء الكتب التي يتسم ناسخوها بهذه الصفات. وقد ذكر لنا ابن النديم عدداً من هؤلاء الوراقين، فكان محمد بن عبد الله بن موسى الكرماني مليح الخط، صحيح النقل، وكان الناس

بن الفرّج بن على الرياشى اللغوى ممن يقدمون على سوق الوراقين بالبصرة^(٥٧).

وكان بعض الوراقين يتخذون حوانيتا فى هذه الأسواق يؤجرونها لمن شاء من الأدباء والعلماء، وفيها يتجرون فى الكتب. ومشهور عن الجاحظ أنه كان يكثرى دكاكين الوراقين وهى عامرة بالكتب ويبيت فيها للقراءة^(٥٨). وقد بلغ عدد حوانيت الوراقين فى ناحية من نواحي بغداد هى رضى وضاح أكثر من مئة حانوت^(٥٩).

وكانت أسواق الكتب من الأماكن التى يحشون على قصدها، ونقرأ ذلك فى قول الشاعر^(٦٠)

مجالسة السوق مذمومة وفيها مجالس تستحب
فلا تقصدن غير سوق الدواب وسوق السلاح وسوق الكتب
ومن الطريف أن نذكر أن بعض مرتادى هذه
الأسواق كانوا يحتالون لشراء الكتب بثمن بخس،
فكان مسبحى بن أبى البقاء المعروف بابن العطار
(ت ٦٨٠هـ) إذا وقعت فى يده نسخة من كتاب
وحشى المزايدة فيه يخزمه^(٦١) لتتقص قيمته
ويبتاعه، واشتهر هذا عنه فيما ذكر القفطى^(٦٢).

ولم يقتصر العمل فى هذه الأسواق على الوراقين وبائعى الكتب، وإنما كانت هناك فئة ثالثة ساهمت فى الأعمال الدائرة فى هذه الأسواق. وكان المنتمون لهذه الفئة يسمون دلالى الكتب. وكانت وظيفتهم النداء على الكتب للجمع بين البائع والمشتري؛ فيذكر لنا ياقوت الحموى أن نسخة كتاب الأغاني بيعت فى النداء بعشرة آلاف درهم، وبيعت مسودة الكتاب نفسه بأربعة آلاف درهم. ويذكر ابن الفوطى أن أحمد بن أبى السعود الرصافى نسخ كتاب نهج البلاغة بخطه، ونادى عليه ليبيع، فدفق له فيه خمسة دنانير فلم يبعه^(٦٥). وربما جمع أحد

يرغبون فى خطه. وكان أبو عبد الله أحمد بن إسحق ممن يرغب فى خطه لجودته^(٤٩). وكان أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الله القرشى (ت ٣٥٠هـ) يوصف بأنه صاحب الخط الحسن المشهور، وكان ثقة مأمونا يورق للناس بدمشق^(٥٠). وكان أحمد بن أخى الشافعى وراق الجهشيارى من الوراقين الذين يفتخر العلماء بالنقل من خطهم، وذلك لاتقان ضبطه^(٥١). وكان أحمد بن عبد الخالق الدينورى المعروف بابن الخازن (ت ٥١٨هـ) حسن الخط، كتب من المقامات نسخاً كثيرة كانت متداولة بأيدي الناس^(٥٢). وكان أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هشام اللخمي الفاسى (ت ٥٦٠هـ) جيد الخط، حسن الضبط، نسخ بخطه كثيرا من كتب الأدب وغيرها، وكانت الكتب التى توجد بخطه مرغوبا فيها^(٥٣).

ثالثا: بائعو الكتب:

وهم الطرف الثالث المشارك فى نشر الكتب، وكان يشاركهم الوراقون فى بيع وتسويق نسخ الكتب. وكانت أعمال بيع وشراء الكتب تدور فى أسواق عرفت فى تراننا بأسواق الكتب وأسواق الوراقين، وكانت الكتب تباع وتشتري فى هذه الأسواق كسائر السلع فى الأسواق الأخرى. ومن أشهر أسواق الكتب وأسواق الوراقين سوق الكتب والوراقين ببغداد، وسوق الكتب بالبصرة وقرطبة^(٥٤)، وسوق الوراقين فى الفسطاط على عهد الطولونيين والإخشيديين^(٥٥).

وكان المهتمون بالإنتاج الفكرى من المؤلفين والعلماء والوراقين يؤمون هذه الأسواق. فكان يحيى ابن محمد الأرزنى الوراق (ت ٤١٥هـ) يخرج إلى سوق الكتب ببغداد لبييع نسخ الكتب يورقها^(٥٦). وكان ابن دريد صاحب كتاب الجمهرة. والعباس

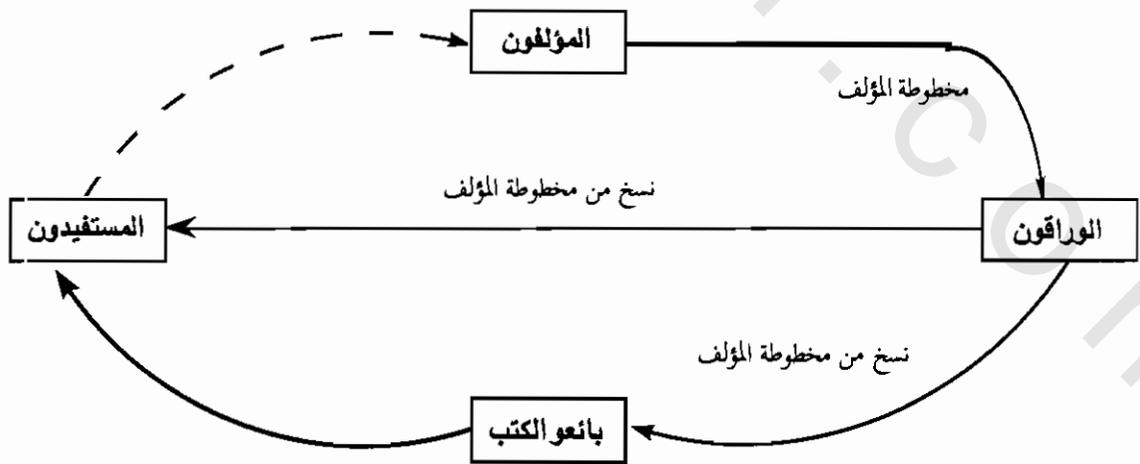
الكتب في تراثنا العربي الإسلامي خلال عصر من أزهى عصور الحضارة، وهذه هي الأدوار التي لعبتها في إمداد المستفيدين بمصادر المعلومات. ونستطيع أن نصور دور كل منها في نشر الكتب بالشكل رقم (١) كما نستطيع أن نوجز هذه الأدوار فنقول؛ كان المؤلفون يحرصون على إتاحة نتائج بحوثهم للمستفيدين المحتملين رغبة منهم في تعريف المشاركين لهم في مجالات اهتماماتهم بهذه النتائج، فبعد انتهاء المؤلف من تصنيف أحد كتبه دفع به إلى الوراقين لنسخه وقام الوراقون بفئاتهم المختلفة بدور المطابع في العصر الحاضر، فعملوا على توفير الكتاب في نسخ متعددة لمن يحتاج إليها، كما شارك الوراقون بائعي الكتب ودلالى الكتب في توصيل هذه الكتب إلى المستفيدين. ولولا حرص المؤلفين على بث نتائج بحوثهم، لانعدمت الإفادة منها. ولولا توافر الكتب في نسخ متعددة عن طريق الوراقين والناسخ، لكانت الإفادة منها محدودة. ولولا توافر أسواق الكتب، وأسواق الوراقين، ومن يعملون فيهما من بائعين ودلالين، لكثرت المستفيدون في طلب مصادر المعلومات، ولصعب عليهم نوالها.

الدالين بين التأليف والوراقة والنداء على الكتب؛ فيذكر ابن خلكان^(٦٦) أن أبا المعالي سعد بن علي بن القاسم (ت ٥٦٨هـ) كان شاعراً وأديباً من أهل بغداد، وكان وراقاً يعرف باسم دلال الكتب. ويذكر الزركلي^(٦٧) أن لأبي المعالي المذكور مؤلفات منها زينة الدهر جعله ذبيلاً لكتاب دمية القصر للباخرزي.

وكان يحق للدلال ألا يبيع كتب الذين لمن يعلم أنه يضيعها، أو ينظرها لينتقدها والظعن عليها، وألا يبيع شيئاً من كتب أهل البدع والأهواء، وكتب المنجمين، والكتب المكذوبة، ولا يحل له أن يبيع كافراً، لا المصحف ولا شيئاً من كتب الحديث أو الفقه على ما ذكر السبكي^(٦٨)، وكان ذلك من آداب الدلالة وآداب تجارة الكتب.

ولم تقتصر تجارة الكتب على الفئات السابقة فحسب، بل كان بعض المؤلفين يتخذون من تجارة الكتب وسيلة للكسب، فكان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) يصحب في رحلاته من كتب العلم ما يتاجر فيه^(٦٩).

هذه هي الأطراف الثلاثة التي قام عليها نشر



شكل رقم (١)

دور المؤلفين والوراقين وبائعي الكتب في النشر

الهوامش:

هذه الصحف عند أبي بكر حتى وفاته، ثم عند عمر بن الخطاب، ثم انتهت في زمن عثمان بن عفان إلى حفصة بنت عمر رضى الله عنهما - فأرسل عثمان بن عفان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان الذى أمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم فنسخوها فى المصاحف، وقال للرهط من قريش: إذا اختلفتم أتمم زيد فى شئ من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم، ففعلوا ذلك، حتى إذا نسخ المصحف، رد الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بكل ما سواه من القرآن فى كل صحيفة ومصحف أن يحرق، وبعث مع كل مصحف صحابيا يعلم الناس القراءة الصحيحة. انظر: إبراهيم الإيبارى. تأريخ القرآن. ط ٣ مزيدة ومنقحة. القاهرة، دار الكتاب المصرى، ١٩٩١ : ص ١٠٢.

١٠ - أبو بكر بن حزم شيخ من شيوخ المحدثين، وكان نائب عمر بن عبد العزيز فى الإمرة والقضاء على المدينة.

١٣ - الخطيب البغدادى. تقييد العلم. صدره وحققه يوسف العش. دمشق، المعهد الفرنسى للدراسات العربية، ١٩٤٩ : ص ١١٨.

١٤ - برنال، د. رسالة العلم الاجتماعية. ترجمة إبراهيم حلمى عبد الرحمن. القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٤٩ : ص ٣٧٢.

١ - ميدوز، جاك. آفاق الاتصال ومناخه فى العلوم والتكنولوجيا. ترجمة حشمت قاسم. القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٧٩.

٢ - جارفى، وليم. الاتصال أساس النشاط العلمى. ترجمة حشمت قاسم. بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٤.

٣ - حشمت قاسم. المكتبة والبحث. القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٣ : ص ٥٧.

٤ - حشمت قاسم. مصادر المعلومات وتنمية مقتنيات المكتبات. ط ٢. القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٨ : ص ٢١.

٥ - حشمت قاسم. المكتبة والبحث. مصر سابق: الصفحة نفسها.

٦ - لانكستر، ولفرد. نظم استرجاع المعلومات. ترجمة حشمت قاسم. القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨١ : ص ٢٣، ٢٤.

٧ - ابن عبد البر. جامع بيان العلم. القاهرة، إدارة الطباعة النيرة، ١٣٤٦ هـ : ح ١، ص ١١٩.

٨ - الهيتمى. مجمع الزوائد. بيروت مؤسسة المعارف، ١٩٨٦ : ح ١، ص ١٧١.

٩ - وقصة ذلك أن حذيفة بن اليمان، رضى الله عنه لما قدم من العراق على عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى - وكانوا قد اختلفوا فى قراءة القرآن - وكانت صحف القرآن قد جمعت على عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وقد ظلت

- ١٥ - الأبنبارى. نزهة الألباء. دم.، د.ن.، ١٢٩٤ هـ ١٨٧٧ م : ص ١٩٩. وقد ذكر ابن النديم فى فهرسته كتاب أبى عمر الجرمى بعنوان مختصر نحو للمتعلّمين. أنظر: ابن النديم. الفهرست؛ دراسة بيوجرافية... وتحقيق ونشر شعبان خليفة، ووليد محمد العوزة. القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩١ : ج ١، ص ٩٣.
- ١٦ - ابن بسلام الشترينى. الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة. تحقيق إحسان عباس. بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩ : ج ١، ص ٢١. وابن بسلام أديب أندلسى.
- ١٧ - ياقوت الحموى. معجم الأديباء. ط ٢. راجعها إبراهيم اليازجى وآخرون. القاهرة، دار المأمون، ١٩٣٦ : ج ١، ص ٨٥.
- ١٨ - لغوى وأديب من أهل هراة بخراسان.
- ١٩ - الأبنبارى. مصدر سابق: ص ٢٦٠.
- ٢٠ - الخطيب البغدادى. الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع. الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٣ هـ : ج ١، ص ٢٤٠.
- ٢١ - ياقوت الحموى. مصدر سابق: ج ٦، ص ١٥٥؛ ج ١، ص ٢٠٤.
- ٢٢ - ابن النديم. مصدر سابق: ج ١، ص ٤٣٩.
- ٢٣ - ياقوت الحموى. مصدر سابق: ج ١٤، ص ٢٤، ٢٥.
- ٢٤ - المصدر السابق: ج ١٨، ص ٢٧٨.
- ٢٥ - المصدر السابق: ج ٧، ص ٢١٣.
- ٢٦ - جراح عالم بالطب والهندسة من أهل قرطبة.
- ٢٧ - ابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. شرح وتحقيق نزار رضا. بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥ : ص ٤٨٤، ٤٨٥.
- ٢٨ - ابن خلدون. المقدمة. تحقيق على عبد الواحد وافى. ط ٣ مزيدة ومنقحة. القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٩ : ج ٢، ص ٩٧٤.
- ٢٩ - يذكر أبو هلال العسكري أن النسخ هو نقل معانى الكتاب، وأصل النسخ هو الإزالة، ومنه نسخت الشمس الظل. وإذا نقلت معانى الكتاب إلى آخر فكأنك أسقطت الأول وأبطلته، وذلك لتطابق النسختين. أنظر: أبو هلال العسكري. الفروق اللغوية. ضبطه وحققه حسام الدين القدسى. بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت: ص ٢٤٠.
- ٣٠ - الخطيب البغدادى. تاريخ بغداد. القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٣١ : ج ٧، ص ٣٢٩؛ ج ١٠، ص ١١٣.
- ٣١ - ياقوت الحموى. مصدر سابق: ج ١٨، ص ١٢٥.
- ٣٢ - المصدر السابق: ج ١٦، ص ١٠٦.
- ٣٣ - ابن النديم. مصدر سابق: ج ١، ص ٥٢٩.
- ٣٤ - المصدر السابق: ج ١، ص ٩٩.
- ٣٥ - المصدر السابق: ج ١، ص ١٣٦.
- ٣٦ - ابن سعد. الطبقات الكبرى. بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٧ - ١٩٦٠ : ج ١، ص ٦.
- ٣٧ - السيوطى. بغية الوعاة... تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ١. القاهرة، مطبعة عيسى البابى الحلبي، ١٩٦٤ : ج ١، ص ٤٨١.

مكتبة النهضة المصرية، ص ١٩٤٨ : ج ١ ، ص ١٣١ .

٥٣ - المصدر السابق: ج، ص ١٥٢ .

٥٤ - أشار المقرئ إلى سوق الكتب بقرطبة في كتابه نفع الطيب. انظر الكتاب ج ٤ ، ص ١١٣ ، ١١٤ طبعة دار المأمون بالقاهرة، ١٩٣٦ .

٥٥ - محمد فتحى عبد الهادى. دراسات فى الضبط البليبيوجرافى. القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٧ : ص ٨٧ .

٥٦ - ياقوت الحموى. مصدر سابق: ج ٢٠ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

٥٧ - ابن النديم. مصدر سابق: ج ١ ، ص ٩٥ .

٥٨ - المصدر السابق: ج ١ ، ص ٣٣٥ .

٥٩ - اليعقوبى. كتاب البلدان. ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٢ : ص ١٤٥ .

٦٠ - الخطيب البغدادى. تقييد العلم. مصدر سابق: ص ١٢٥ .

٦١ - أى نزع بعض أوراقه .

٦٢ - القفطى. مصدر سابق: ص ٣٣٢ .

٦٣ - الدلالة: اسم لعمل الدلال، وهو من ينادى على السلعة جامعا البائع بالمشتري .

٦٤ - ياقوت الحموى. مصدر سابق: ج ١٣ ، ص ١٢٥ - ١٢٧ .

٦٥ - ابن الفوطى. الحوادث الجامعة... بغداد، المكتبة العربية، ١٩٣٢ : ص ١٨ ، ١٩ .

٦٦ - ابن خلكان. مصدر سابق: ج ٢ ، ص ١٠٩ .

٣٨ - أحد كبار علماء الحديث، وكان يتفقه على مذهب الإمام مالك .

٣٩ - الخطيب البغدادى. تاريخ بغداد. مصدر سابق: ج ١٤ ، ص ٢٨١ .

٤٠ - ابن النديم. مصدر سابق: ج ١ ، ص ٣٥٥ .

٤١ - القفطى. تاريخ الحكماء... القاهرة، مؤسسة الخانجى، ١٩٠٣ : ص ١٦٧ .

٤٢ - الخطيب البغدادى. تاريخ بغداد. مصدر سابق: ج ١ ، ص ١٩٤ .

٤٣ - ابن أبى أصيبعة. مصدر سابق: ص ٦٨٣ .

٤٤ - ابن النديم. مصدر سابق: ج ١٨ ، ص ٤٢ .

٤٥ - ياقوت الحموى. مصدر سابق: ج ١٨ ، ص ٤٥ .

٤٦ - ابن النديم. مصدر سابق: ج ١ ، ص ١٨٨ .

٤٧ - ابن شاکر الكتبى. فوات الوفيات. تحقيق

محمد محى الدين عبد الحميد. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١ : ج ١ ، ص ٤٩٦ .

٤٨ - الصولى، أبو بكر. أخبار الرضى بالله... من

كتاب الأوراق. القاهرة، مطبعة الصاوى، ١٩٣٥ : ص ٤٩ .

٤٩ - ابن النديم. مصدر سابق: ج ١ ، ص ١٣٧ - ١٣٩ .

٥٠ - ياقوت الحموى. مصدر سابق: ج ٤ ، ص ٢٣٨ .

٥١ - المصدر السابق: ج ٢ ، ص ١٣٧ .

٥٢ - ابن خلكان. وفيات الأعيان. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد. ط ١. القاهرة،

٦٧ - خير الدين الزركلى. الأعلام. ط ٢.

القاهرة، مطبعة كوستاتسوماس، ١٩٥٥ :

ج ٣، ص ١٣٦.

٦٨ - السبكي، عبد الوهاب. معيد النعم ومبيد

النقم. حققه وضبطه وعلق عليه محمد النجار

وآخرون. ط ١. القاهرة، مكتبة الخانجي،

١٩٤٨ : ص ١٤٣.

٦٩ - ياقوت الحموي. مصدر سابق: ج ١٦،

ص ٢٢٥.

